Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويكاشفه أنه إذا كان يسر بتعذيبه والاستماع إلى أقوال حاسديه ، وإصابته بالسهام الجارحة ، فإنه لا يشعر بالألم للجرح الذي يرضيه ، ولكنه يطلب إليه أن يرعى ما بينهما من معرفة . فالمعارف ذمم وعهود بين أصحابها . ثم يفتخر بنفسه وينفي عنه النقص والعيب :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ... إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي ... أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه ... يزيلهن إلى من عنده الديم

ويختلط في هذه الأبيات العتاب بالفخر والكبرياء باللوعة والحسرة بالانهيار النفسي .

وفي الأبيات التي تليها يتحول الأمر كله إلى مونولوج داخلي ، ينسى فيه سطوة سيف الدولة على نفسه ، وإن لم ينس لوعة الفراق ، فيتحدث عن البعاد الذي سيكلفه الأهوال ، وكيف أن الرحلة التي سيقطعها لا تستطيعها الإبل والنياق المسرعة في السير وأنه لو ترك «ضميراً» عن يمينه ، وهو جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يعني أنه لو رحل إلى مصر ليُحدثن ندماً لهؤلاء الذين تركوه يفارقهم ، لأنهم في هذه الحالة يكونون هم الذين قد رحلوا ، لأنهم كانوا يقدرون على تكريمه وإبقائه معهم :

أرى النوى تقتضيني كل مرحلة ... لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركن ضميراً عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ألا تفارقهم فالراحلون هم

ولعل هذا البوح الحزين قد شفاه بعض الشيء ، فتماسك وعادت له حدته التي رأيناها في المشاهد السابقة ، فختم هذا المشهد بأبيات ثلاثة اختلطت فيها الحدة بالحكمة التي اشتهر بها بدأها بذم المكان الذي لا يجد فيه الأمن النفسي بل يجد الحاسدين والحاقدين ، وتتحول فيه النعمة إلى نقمة وتستوي فيه النسور والرخم ثم يسفر في سبّه لهؤلاء المنافسين ويصفهم بالزعانف ويلوم سيف الدولة لأن أمثال هؤلاء ينالون اهتمامه والتقامه :